﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ۝٧﴾ [الأحقاف: 7]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قبلَها:

تَعْدادُ ضَلالاتِ المُشْرِكِين وإبْطالُها

لمّا بيَّنَ اللّهُ تعالى استخفافَهُم بألوهيَّتِه ومَدى حُمْقِهم؛ إذ جَعَلوا لهُ شُركاءَ لا يَسمَعونَهُم؛ إذْ يدعونهُم، وكانوا غافلينَ عن دُعائهم، ويومَ القيامةِ يَتبرَّؤونَ منهم؛ ناسَبَ أن يُبيِّنَ استهزاءَهم بمقامِ النُّبوَّة من خلالِ تكذيبِ الآياتِ واتِّهامِها بالسِّحر واتِّهامِ النَّبيِّ ﷺ بالافتراءِ على اللّه تعالى[1]، وقد ذُكِرَ هذا في سياقِ تَعدادِ ضلالاتِهم، فأُبْطِلَ ههنا ضلالٌ آخرُ مِنْها، وهو تكذيبُهم بالقرآن الكريم[2].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿تُتْلَىٰ﴾: (تلو) تدور اشتقاقاتُه على مَعْنى الاتِّباعِ، ومنه: تِلاوَةُ القُرآنِ؛ لأنَّهُ يُتبع آيةً بعد آيةٍ[3]، وكلُّ شيءٍ تَلا شيئًا؛ فهو تِلْوُه[4]، وأتْلَيْتُ الشَّيءَ إيّاه: أتْبَعْتُه، ورَجُلٌ تَلُوٌّ على وزنِ عَدوٍّ: لا يَزالُ مُتَّبِعًا[5]، وتَلَوْتُه تُلُوًّا: تَبِعْتُه، وتلوتُ القرآنَ أو كُلَّ كَلامٍ تِلاوَةً: قَرَأْتُهُ، والتِّلْوُ - بالكسر - ولَدُ النّاقَةِ يُفْطَمُ، فَيَتْلوها[6]، والمرادُ في الآية: تُقرَأُ الآياتُ على أسماعِهم تِباعًا.

2) ﴿لِلْحَقِّ﴾: (حقق) تدلُّ تصريفاتُه عَلى إحكامِ الشَّيءِ وصِحَّتِه، فالحَقُّ نَقيضُ الباطِلِ[7]، تقولُ: يَحِقُّ عليكَ أن تفعَلَ كذا،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 28/ 8.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 13.
(3) ابن فارس، مقاييس اللغة: (تلو).
(4) الخليل، العين: (تلو).
(5) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (تلو).
(6) الفيروزابادي، القاموس المحيط: (تلو).
(7) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حقق).

وأنتَ حقيقٌ على أن تفعَلَه[1]، وحَقَّ الأمْرُ يحِقُّ ويَحُقُّ حَقًّا وحُقوقًا: صارَ حَقًّا، وثبتَ، وأحَقَّه: صَيَّرَه حَقًّا، وحَقَّ الأمْرَ يَحُقُّهُ حَقًّا، وأحَقَّه: كانَ مِنهُ على يَقينٍ[2]، والمرادُ به في الآيةِ: الآياتُ المتلوَّةُ[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

شأنُ الضّالّين جُحودُ الحقِّ المُبين

يَذْكُرُ اللهُ سُبحانَه أنَّ المُشْرِكين إذا تُتْلى عليهم آياتُه الواضحاتُ البَيِّنات؛ أعْرَضوا عن الحقِّ، وقالوا جاحِدينَ: إنَّ هذا القرآنَ الذي جاءَهُم ما هو إلّا سحر ظاهِرٌ[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

معنى (الواو) ودلالتها:

جمعُ أهل الشِّرْكِ بينَ صُنوفٍ مِنَ الضَّلالات

الواوُ في ﴿وَإِذَا﴾ من قولِ الله سُبْحانَهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ عاطفةٌ الجملةَ بعدها على جملة: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾[5]؛ للدَّلالةِ على الضِّلالاتِ الَّتي جَمَعوها، والأوهامِ صدَّقوها، فقد قَرَنوا الشِّركَ بالتَّكذيبِ، وقرنوا الاستخفافَ بمقامِ الألوهيَّةِ بالاستخفافِ بمنزلةِ النُّبوَّة، وقرنوا تصديقَ الآباء بتكذيبِ الآياتِ واتِّهامِها بالسِّحرِ المُبين.

نكتةُ اختيارِ (إذا) دونَ (إنْ):

الإعْراضُ عَنِ الحقِّ بعدَ تَبَيُّنِه، غايةُ الانْجِراف والضَّلالِ

جاء التَّعبير بأداة الشَّرط (إذا) في قولِ الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ دون (إنْ)؛ لِما تدلُّ عليه (إذا) من تحقُّقِ وقوع مدخولها، بخلافِ (إن) فإنَّها دالَّةٌ على الشَّكِّ في وقوعِه، وفي هذا دلالةٌ على تحقُّقِ تلاوة الآياتِ القرآنيَّة عليهم وبلوغِها إليهم، ممّا يقتضي التَّسجيل عليهم وتوبيخَهم على إنكارِها.

(1) الخليل، العين: (حقق).
(2) ابن سيده، المحكم والمحيط الأعظم: (حقق).
(3) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 22.
(4) نخبة من أساتذة التفسير، التفسير الميسر، ص: 503.
(5) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 13.

بلاغةُ اختيارِ لفظِ التِّلاوةِ مادَّةً وصيغةً:

استمرارُ التَّكذيبِ مَعَ تتابُعِ الآياتِ

اختارَ النَّظمُ القرآنيُّ فعلَ (التِّلاوة) في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ دون (القِراءة)؛ لما في التِّلاوةِ من قراءةٍ على سبيلِ المُتابعةِ والدَّوام والاستمرارِ، فلم تكُنِ التِّلاوةُ عن آذانِهم مُنقطعةً، ولا البراهينُ المُثبتةُ صدقَ الدّين مُنفردةً، بل يَتلو بعضُها بعضًا، ومع ذلك كانوا حريصينَ على التَّكذيبِ والجُحودِ، وجاء التَّعبيرُ بالفعلِ المضارعِ الدّالِّ على التَّجدُّدِ الاستمراريِّ لتقويةِ دوامِ طَرْقِ الآياتِ أسماعَهُم، وهذا أبلغُ في توبيخِهم على جُحودِهِم.

نُكتةُ بناءِ ﴿تُتْلَىٰ﴾ للمَفْعولِ:

اشتراكُ المُشركينَ في جُحودِ الشَّرعِ المُنَزَّلِ

عُبِّر بالفعلِ المبنيِّ لما لَم يُسمَّ فاعلهُ في قولِ اللّه تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ﴾؛ للدَّلالةِ على أنَّ مناطَ الاهتمامِ وقوعُ الحدثِ بغضِّ النَّظرِ عنِ التّالي لتلك الآياتِ، ولبيانِ أنَّ هذا شأنُ الضّالِّينَ في كلِّ عصرٍ ومِصر، لا ينفكّونَ عن سَماعِ الآياتِ تُتلى عليهم من أيِّ تالٍ كان، ولا يُعملونَ العقولَ والأفهام، فكان في بناءِ الفعلِ للمفعولِ إيماءٌ إلى العُمومِ، أي: وإذا تلا عليهم أيُّ تالٍ؛ فإنَّهم يقابلونَهُ بالجحودِ والنُّكرانِ[1].

معنى حرفِ الجرِّ (على) ودلالتُهُ:

علوُّ مقامِ الآياتِ ومُنْزِلِها وتاليها

(على) في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على الاستعلاءِ، والمرادُ هنا: استعلاءُ التِّلاوة عليهم استعلاءً مجازيًّا، وكأنَّ التّاليَ قد ارتقى مكانًا عاليًا، وهو يتلو على مَسامِعِهم الآياتِ البيِّنات، وفيه بيانٌ أنَّ تلك الآياتِ التي يتلوها التّالي قد نزلَتْ مِن عُلوٍّ، وأنَّها عظيمةُ الشَّأن رفيعةُ القَدْرِ، ومُتمكِّنةٌ من السّامعينَ تمكُّنَ المُستعلِي على المُستعلى عليه، ففي الحرفِ استعارةٌ تصريحيَّةٌ تبعيَّةٌ بتشبيهِ المظروفِ الدّاخلِ في الشَّيءِ بالعلوِّ عليه.

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 129.

غرضُ تقديم الجارِّ والمجرورِ ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على نائبِ الفاعِل:

حِـرْصُ الـدّاعـي إلى اللهِ تعالى عـلى هِـدايَـةِ العِبادِ

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ على ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ في قولِهِ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾؛ للاهتمام بالذين يُتْلى عَلَيهِم؛ لأنَّهم مَناطُ الإنقاذِ من الضَّلال، ولبيانِ أنَّ مجيءَ الآياتِ يقعُ حِرصًا عليهم؛ لأنَّهم محلُّ الوَعظِ والإرشاد، كما يفيدُ التَّقديمُ اهتمامَ التّالي بالمتلوِّ عليهم، وحرصَهُ الشَّديدَ على هِدايتِهم، ووجهُ ذلكَ: أنَّ تقديمَ الجارِّ والمَجْرورِ تقديمٌ لِما حقُّه التَّأخير، فأفادَ ذلكَ القَصْر، فكأنَّ التّالي خصَّهم بالإسماع لشِدَّة حِرْصِه على انتِفاعِهم وهِدايَتِهم.

دلالةُ جَمْع (آيات) وإضافَتِها إلى الضَّميرِ:

جَـمْـعُ الآيـاتِ وإضـافَـتُـهـا إلى اللهِ تَعالى تأكيدٌ لِعَظيمِ قَدْرِها وشَرَفِ مَنْزِلَتِها

جُمِع لفظُ (آيات) من قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾؛ لإفادَةِ كثرتِها وتنوُّع دلالاتِها، وأضيفَت الآيات إلى الضَّمير (نا) في ﴿ءَايَٰتُنَا﴾ تعظيمًا للمضافِ، فالآياتُ الَّتي تُتْلَى عظيمَةُ القدرِ شريفةُ المنزلَةِ، أي: إنَّ تلك الآيات لا أعظم مِنْها في نفسِها، وكذا بإضافتِها إلى الله سبحانَهُ[1].

فيكون جمعُ الآيات وإضافَتُها متلائمًا مع فعلِ التِّلاوةِ الدّالِّ على التَّتابُعِ في قراءةِ تلك الآيات.

سرُّ التَّقييدِ بِالحالِ ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾:

الآياتُ الشَّرعيَّةُ بيِّنة في نَفْسِها مُبَيِّنة لغَيْرِها

﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ من قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ﴾ حالٌ من ﴿ءَايَٰتُنَا﴾[2]؛ لإفادةِ وضوحِها وجلاءِ معانيها[3]، ممّا يقتضي قطْعَ العذرِ عمَّن يكذِّب بشيءٍ مِنْها، أو يجحدُها، ويجوزُ أن يكون ﴿بَيِّنَٰتٖ﴾ حالًا على معنى اللُّزوم أو التَّعدية، بمعنى: واضِحاتٍ، أو موضِّحاتٍ[4]، فعلى الأولى: هي واضحةٌ في نفسِها، وعلى الآخر: هي

(1) البقاعي، نظم الدرر: 18/ 129.
(2) صافي، الجدول في إعراب القرآن: 26/ 171.
(3) ابن كثير، تفسير القرآن العظيم: 7/ 275.
(4) البيضاوي، أنوار التنزيل: 5/ 112.

موضِّحةٌ لغيرها، والوصفُ على الأوَّلِ حقيقيٌّ، وعلى الآخر مَجازيٌّ، علاقتُهُ سببيَّةٌ.

وفي صيغةِ (بيَّن) مبالغةٌ، أي: إنَّها شديدةُ الوضوحِ في نفسِها أو كثيرةُ البيانِ لغَيرِها، ولا مانِعَ مِن إرادَةِ المَعنيينِ مَعًا؛ لعدمِ التَّنافي بينَهُما.

دلالة مجيءِ فعل القَوْلِ ﴿قَالَ﴾ جوابًا للشَّرطِ:

الاستِعجالُ في الإنكارِ أمارَةُ العِناد والجُحودِ

جاء فعلُ القولِ ﴿قَالَ﴾ مِن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ﴾ جوابًا للشَّرْطِ؛ للدَّلالَةِ على استعجالِهم في الحكم على الآياتِ قبل تأمُّلِها، وهذا لشدَّةِ عنادِهم وعظيمِ جحودِهم، فلم يكُن عِندَهُم تأنٍّ ونظرٌ في الآياتِ.

دلالةُ التَّعبيرِ بالاسمِ الموصولِ وصلتِهِ:

الكفرُ المتأصِّلُ منعَهُم مِن الانقيادِ إلى الحقِّ

في قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ﴾ إظهارٌ في موضع الإضمارِ؛ إذ مقتضى الظّاهرِ أن يَردَ في النَّظم القرآني: (قالوا للحقِّ)، ولكن عُدِلَ عن ذلك للتَّسجيلِ عليهم بكمال الكُفْرِ والضَّلالِ[1]، وفي التَّعبير بالاسم الموصولِ وصلَتِهِ إشارةٌ إلى أنَّهم معروفونَ بالكُفْرِ مشهورونَ به؛ إذ مِن شأنِ الصِّلة أن تكون ممّا اشتهرَ به مرجعُ الموصولِ.

وفي التَّعبير بالموصولِ وصلتِهِ أيضًا دلالَةٌ على علَّةِ صدورِ هذا القولِ منهم دونَ تفكيرٍ وروِيَّة، فالكفرُ الذي رانَ على قلوبِهم، والجحدُ الذي امتلأت به أذهانُهُم قاداهُم إلى صمِّ الآذانِ عن سَماعِ الآياتِ البيِّنات المتلوَّة، والاستكبارِ عليها والاتِّهام لها، وجاءتِ الصِّلةُ فعلًا ماضيًا؛ لتدلَّ على تحقُّقِ الكفرِ فيهم.

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 22.

سرُّ استعمالِ الكُفرِ دونَ الشِّرك في الصِّلة:

جَمْعُ المُشْرِكينَ بينَ صُنوفِ الانحرافِ والضَّلال

عبَّر النَّظمُ الكريمُ بلفظِ (الكفر) دونَ (الشِّرك) مع أنَّ المُتحدَّثَ عنهم هم المُشركونَ في قولِهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ﴾؛ لأنَّ الكُفْرَ أعمُّ، فيدخلُ فيه الشِّرْكُ وغيرهُ، فمن الكُفْرِ ما يكون جحودًا، ومنه ما يكون شِركًا، ومنه ما يكون نفاقًا، ففي التَّعبير عن المشركين بالكُفْرِ إيماءٌ إلى أنَّهم جمَعوا بين صنوفِ الضَّلالِ والانحرافِ، فجمعوا بين الشِّركِ وجَحْدِ الآياتِ الدّالَّةِ على التَّوحيدِ، وإنكارِ البراهينِ الدّالَّةِ على صِدق كلامِ الرَّسول ﷺ فيما يَنقلُهُ عن ربِّه سُبحانَهُ.

معنى اللّامِ ودلالتِها في قولِه: ﴿لِلۡحَقِّ﴾:

اتِّفاقُ الكَفَرَةِ على جَحْدِ الحقِّ وإنكارِهِ

اللّامُ في ﴿لِلۡحَقِّ﴾ مِنْ قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ﴾ حرفُ جرٍّ دالٌّ على التَّعليل[1]؛ لأنَّ القولَ صدَرَ منهُم، وتوجَّه لغيرِهم من الكافرينَ، وأُضمِرَ المقولُ لهم للإيماء إلى اتِّفاقِ كلمتِهم على الجَحْدِ والإنكار، فمَعْنى قوله: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ﴾ أنَّ صدورَ القولِ منهم بالتَّكذيبِ هوَ لأجلِ الحقِّ والتَّصدِّي له وبُغضِه، فليسَتِ اللّام للتَّعديةِ حتّى يكونَ القولُ مُتوجِّهًا للحقِّ - كما أفادَهُ ابن عاشور[2] - وبهذا يُعْلَمُ أنَّ التَّقدير: قالَ الذين كفروا بعضُهم لبعضٍ بسببِ الحقِّ ولأجلِ ردِّهِ وجَحْدِهِ.

دلالةُ استعمالِ مُفردةِ (الحقِّ):

وُجوبُ الإيمانِ بالآياتِ المُتلوَّةِ والانقيادِ لَها

(الحقُّ) في الأصلِ معناهُ: الثّابت[3]، واستُعيرَ في قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ للآياتِ الواردةِ في قولِهِ: ﴿تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا﴾ استعارةً تصريحيَّةً؛ إذ شبَّه الآياتِ

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 21.
(2) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 26/ 13.
(3) الفيومي، المصباح المنير: (حقق).

بالحقِّ الثّابتِ الَّذي لا يَتزحزحُ تعريضًا بباطلِهم، بجامعِ عدمِ زوالِ الأدلَّةِ البيِّنة وعدمِ انهدامِ الثّابتِ القويِّ، والغرضُ من الاستعارةِ الاستخفافُ بعقولِهم الَّتي أعرضَتْ عن الحقِّ والآيات، واتَّبعتِ الباطلَ والضَّلالات، وأنَّ اللّائقَ بحالهم لمّا جاءهم الحقُّ أن يَتْرُكوا الباطلَ، ويَعْدِلوا عَنِ الزّائل.

وفي قولهِ سُبحانَهُ: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾ إظهارٌ في موضع الإضمار؛ إذ مُقْتضى الظّاهر أن يَرِدَ في البيان القرآني: (قال الذين كفروا لَها)، أي: للآياتِ، ولكن عُبِّر عن الآيات المتلوَّة بالحقِّ؛ تنصيصًا على حقّيَّتها، وأنَّه يتعيَّنُ الإيمانُ بها[1].

دلالةُ (ال) في (الحقِّ):

إنكارُ المُشْركين للحقِّ بالكُلِّيَّة

(الـ) في (الحقِّ) من قولِ اللّهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ﴾؛ لبيانِ الجِنْسِ والحقيقةِ؛ ليكونَ قولُهم المُنكِرُ للحقِّ إنكارًا لحقيقةِ الحقِّ المُتمثِّلِ بتلكَ الآياتِ البيِّنات الَّتي خوطِبوا بها، فيكون في ذلكَ تعريضٌ شديدٌ برَفْضِهم الحقَّ كلَّهُ واتِّباعِهم الباطلَ عَينَهُ.

دلالةُ استعمالِ ﴿لَمَّا﴾:

تَصويرُ شِدَّةِ إنكارِهم وعِظَمِ جُحودِهم للحَقِّ

استعملَ النَّظمُ ﴿لَمَّا﴾ الحينيَّة الظَّرفيَّة في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾؛ لتقييدِ زمنِ القولِ بمجيءِ الآياتِ والحقِّ؛ ليكونَ إنكارُهم للحقِّ ورفْضُهم للآياتِ مُقترنًا بمجيئِها لهُم وعرضِها عليهم، فيكون ذلك الإنكارُ واقعًا في أوَّلِ ما جاءَهم مِن غيرِ تأمُّلٍ ولا رويَّة[2]؛ مبالغةً في تصويرِ إنكارِهم وشدَّةِ استكبارِهم على تلك الآياتِ المُخاطَبينَ بها.

(1) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 22.
(2) الهرري، حدائق الروح والريحان: 27/ 22.

دلالةُ التَّعبير بالمجيءِ مادَّةً وصيغةً:

عِـظَـمُ الـحَـقِّ وجلالُهُ

جاءَ التَّعبيرُ عن المجيءِ بالفعلِ الماضي في قولِه تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾؛ للدَّلالةِ على تحقُّقِ المَجيءِ وحصولِه بما لا يَسوغُ إنكارُهُ.

وفي التَّعبير بفعلِ المجيءِ دونَ الإتيانِ أوِ الإقبالِ إيماءٌ إلى عِظَمِ الحقِّ وجلالِه، وصعوبةِ وُرودِهِ على قلوبِ النّاسِ بسببِ مقاومَةِ الحقِّ والتَّمادي في الباطِلِ.

بلاغةُ الاستعارةِ في فِعْلِ المَجيءِ:

تَكْذيبُهم بالحقِّ وكُفْرُهم بهِ مَع ظُـهـورِه غـايـةَ الظُّهور

في إسنادِ المجيءِ إلى الحقِّ في قول الله تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ﴾ استعارةٌ مكنيَّةٌ؛ إذ شُبِّه الحقُّ بشخصٍ يتأتَّى منهُ المجيءُ والإقبالُ والإتيان، وإسنادُ المَجيءِ إليه تخييلٌ، والغرضُ من الاستعارةِ وتصويرِ الحقِّ بهيئةِ الجائي: الإبانةُ عن واقعِهِم المليءِ بالباطلِ وأنَّ الحقَّ قدِمَ إليهم، ولم يُفتِّشوا عنه، وأنَّه عليهم الاستعداد له إيمانًا وتصديقًا وإذعانًا، لكنَّهم قابلوهُ بالكفر والتَّكذيب.

بلاغةُ التعبيرِ بالجملةِ الاسميَّة:

فَـسـادُ عُـقـولِ المُشْركينَ

عبَّر النَّظمُ عن مقولِ القَول بالجملةِ الاسميَّة: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾؛ للدَّلالةِ على ثبوتِ هذا الحُكم للمُشارِ إليهِ (الحقّ) وتأكيد هذه النِّسبةِ، ممّا يدلُّ على شدَّةِ انحرافِ عقولِ المشركينَ؛ إذ لم يتوهَّموا الحقَّ سحْرًا فحسبُ، حتّى تجاوزوا ذلك إلى القطعِ والجَزْمِ بذلكَ.

غرضُ استعمالِ اسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾:

احتقارُ المُشْركينَ للحقِّ المُستَبينَ

جاء التَّعبيرُ باسمِ الإشارةِ ﴿هَٰذَا﴾ الموضوعِ للقريبِ في قولِ اللهِ تعالى حكايةً عن المشركين: ﴿هَٰذَا سِحۡرٞ مُّبِينٞ﴾، وهو مشارٌ بِهِ إلى الحقِّ البيِّنِ الذي جاءَهم والنِّعمةِ الكبيرةِ التي وصَلَتْهم؛ وذلك

للدَّلالة على مَدى الاستخفافِ بهِ منَ المُكذِّبين، والحطِّ من شأنِه، فالغايةُ من تقريبِ المُشارِ إليه الاستهزاءُ والتَّهكُّمُ والتَّحقير.

تعيينُ مرجِعِ اسمِ الإشارةِ:

تحقيرُ المُشْرِكين للحقِّ دليلُ فَسادِ عُقولِهِم

عادَ اسمُ الإشارةِ في قولِهِ تعالى: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ للحقِّ الذي جاءَهُم، والحقُّ هُنا إمّا (الآيات) الَّتي تُتلى عليهِم، أو الرَّسول ﷺ الذي جاءَهُم بها، وعلى الأوَّلِ يكونُ استعمالُ اسمِ الإشارة مَعَ الحقِّ – وهو أمرٌ معنويٌّ – استعارةً تصريحيَّةً، وذلك بتنزيلِ الحقِّ منزلةَ المشارِ إليه المحسوسِ المشاهَدِ، والإشارةُ إليه باللَّفظ الموضوع لذلك يُرادُ به التَّحقيرُ، وعلى الثّاني – وهو أن يُراد بالحقِّ النَّبيُّ ﷺ – فاسمُ الإشارةِ حقيقةٌ في الاستعمال؛ إذ المشارُ إليه محسوسٌ، والغرضُ من تعبيرِهِم بالقُرْبِ التَّقليلُ والتَّحقيرُ؛ إمعانًا مِنْهُم في الباطِلِ والضَّلالِ.

نكتةُ ذكرِ لفظ (السِّحر):

العَجْزُ عنِ المواجَهةِ دافِعٌ لإلقاءِ التُّهَمِ بكلِّ مُجازَفة

جاء التَّعبير بلفظِ (السِّحر) في قولِهِ: ﴿هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ للدَّلالةِ على إقرارِهِم بِعِظَمِ تأثيرِ الحقِّ في نفوسِ العبادِ، ولم يجدوا إلّا وصفَهُ بالسِّحْرِ؛ طلبًا للتَّهرُّبِ من الإذعانِ والانقيادِ لَهُ.

مناسبةُ وصفِ ﴿سِحْرٌ﴾ بلفظ ﴿مُّبِينٌ﴾:

إحـــاف المُشْرِكين في وصْفِ الآياتِ الشَّرعيَّة

وُصِفَ السِّحرُ المُتَّهَمُ به الآياتُ بكونِهِ مُبينًا في قولِهِ تعالى: ﴿سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ ادِّعاءً مِنْهم أنَّ الآياتِ بلغَت في السِّحْرِ حدًّا لا يخفى على أحدٍ، حتّى إنَّ مُنْكِرَ ذلكَ مُنْكِرٌ للحقائقِ المحسوسَةِ، وهذا إيغالٌ منهم في الباطِلِ والعنادِ، ولذا قال الزَّمخشري: "ومِن عِنادِهم وظُلْمِهِم أنَّهم سمَّوهُ سِحْرًا مُبينًا ظاهِرًا أمرُهُ في البُطلانِ لا شُبهةَ فيهِ"[1].

(1) الزمخشري، الكشاف: 4/ 296.

بلاغةُ إيثارِ أُسلوبِ الشَّرطِ دونَ الخَبَر:

حِـرمـانُ لـذَّةِ التأمُّلِ والمنعُ من نِعمَةِ التَّدبُّرِ

اختارَ النَّظم القرآنيُّ التَّعبير بالجملةِ الشَّرطيَّةِ في قولِ اللّهِ تعالى: ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾؛ لتحقيقِ التَّعلُّقِ بين مضمون الشَّرْطِ ومضمونِ الجزاءِ، وذلك لأنَّ الشَّرطَ أدلُّ على ذلكَ مِنَ الإخبارِ المحضِ، فكان في الآيةِ تأكيدٌ بليغٌ على مبادرةِ المشركينَ إلى إنكارِ الحقِّ بمجرَّد تلقّيه، مِن غيرِ نَظَرٍ فيهِ ولا تأمُّلٍ لأدلَّتِهِ.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس والخمسون،
سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 55 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-659-89-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 55 : المجلد الخامس والخمسون، سورة الجاثِية من الآية 16 إلى سورة محمَّد الآية 06.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-659-89-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4299298 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"